

٣ ﷺ الذهبي (٥٧٤٨):

قال في «السير» (١٠٥/٨): (فقولنا في ذلك وبابه - يعني: الصفات - الإقرار، والإمرار، وتفويض معناه إلى قائله الصادق المعصوم). وكذا قال في (١٤/٣٧٤ - ٣٧٦).

وقال في «ميزان الاعتدال» (٤٢٠/٢): (أما معنى حديث الصورة فنردد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف، مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء).

قلت: وللذهبي كلام آخر حسن في إثبات الصفات، وإثبات معانيها اللائقة بالله تعالى، ومن ذلك قوله في «السير» (٤٤٩/١٩): (صار الظاهر اليوم ظاهرين: أحدهما حق، والثاني باطل).

فالحق أن يقول: إنه سميع، بصير، مريد، متكلّم، حي، عليم، كل شيء هالك إلا وجهه، خلق آدم بيده، وكلّم موسى تكليماً، واتّخذ إبراهيم خليلاً، وأمثال ذلك؛ فنُوره على ما جاء، ونفهم منه دلالة الخطاب كما يليق به تعالى، ولا نقول: له تأويل يخالف ذلك.

والظاهر الآخر وهو الباطل والضلال: أن تعتقد قياس الغائب على الشاهد، وتمثل البارئ بخلقه تعالى الله عن ذلك، بل صفاته كذاته، فلا عدل له، ولا ضد له، ولا نظير له، ولا مثل له، ولا شبيه له، وليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاتيه، وهذا أمر يستوي فيه الفقيه والعامي.

ونحوه في كتابه «العلو» (٢/١٣٢٩-١٣٣٠) ^(١).

(١) وللذهبي في «سيره» وغيرها من كتبه كثير من المخالفات قد نبه إليها العلماء، ومن أعظمها:

١ - القول بجواز التبرُك بغير النبي ﷺ، وشد الرحل إليه.

قال في «السير» (٤/٤٨٤): (من زاره - صلوات الله عليه - وأساء أدب الزيارة، أو سجد للقبر، أو فعل ما لا يشرع، فهذا فعل حسناً وسيئاً! فیعلم برفق، والله غفور رحيم، فواه =

ما يحصل الإنزعاج لمسلم، والصياح، وتقبيل الجدران، وكثرة البكاء، إلا وهو محبت لله ولرسوله، فجعه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار، فزيارة قبره من أفضل القرب، وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء لشَّن سلمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فشد الرحال إلى نبينا ﷺ مُستلزم لشد الرحل إلى مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع، إذ لا وصول إلى حجرته إلا بعد الدخول إلى مسجده..).

وقال في «معجم شيوخه» (١/٧٣): (سئلَ أَحْمَدَ عَنْ مَسْقِبِ الْقَبْرِ التَّبَوِيِّ وَتَقْبِيلِهِ، فَلَمْ يَرْ بِذَلِكَ بَأْسًا...!! فَإِنْ قِيلَ: فَهَلَا فَعَلَ ذَلِكَ الصَّحَابَةُ؟ قَيْلَ: لَأَنَّهُمْ عَايَنُوهُ حَيًّا، وَتَمْلَوْا بِهِ، وَقَبَّلُوْ يَدَهُ، وَكَادُوا يَقْتَلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ.. وَنَحْنُ فَلَمَّا لَمْ يَصُّخَّ لَنَا مِثْلُ هَذَا التَّصِيبِ الْأَوْفَرِ تَرَامَيْنَا عَلَى قَبْرِهِ بِالْإِلْتَزَامِ وَالتَّبَجِيلِ وَالْإِسْتَلَامِ وَالتَّقْبِيلِ!!.. وَهَذِهِ الْأَمْرُورُ لَا يُحْرِكُهَا مِنَ الْمُسْلِمِ إِلَّا فَرَطَ حُبَّهُ لِلنَّبِيِّ!! أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ فِي فَرَطِ حُبِّهِمْ لِلنَّبِيِّ!! قَالُوا: أَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ فَقَالَ: «لَا». فَلَوْ أَذْنَ لَهُمْ لَسْجَدُوا لَهُ سَجْدَةً إِجْلَالٍ وَتَوْقِيرٍ، لَا سَجْدَةً عِبَادَةً.. وَكَذَلِكَ الْقُولُ فِي سَجْدَةِ الْمُسْلِمِ لِقَبْرِ النَّبِيِّ!! عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ وَالتَّبَجِيلِ لَا يُكَفِّرُ بِهِ أَصْلًا؛ بَلْ يَكُونُ عَاصِيًّا، فَلَيُعْرَفَ أَنَّ هَذَا مَنْهِيًّا عَنْهُ، وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ إِلَى الْقَبْرِ!!

وكذلك قال في «السير» (٩/٣٦٨) بجواز شد الرحل لقبر النبي ﷺ !!
قلت: ما نقله عن الإمام أَحْمَدَ رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ جُوازِ مَسْقِبِ قَبْرِ النَّبِيِّ!! غير صحيح عنه، وقد توارد على مثل هذا النقل غير واحدٍ ممن يحيّز شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ، والتبرك بالقبور، وأهل العلم يرددون هذا النقل ويُضعفونه، ومن ذلك: قال الشيخ سليمان ابن حمدان رَحْمَةُ اللَّهِ في تعقيبه على ابن حجر العسقلاني في نقله عن الإمام أَحْمَدَ جواز تقبيل المنبر والقبر، فقال: (أما ما نقله عن الإمام أَحْمَدَ رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَرْ بَأْسًا بِتَقْبِيلِ مَنْبِرِ النَّبِيِّ!! وَقَبْرِهِ؛ فَهَذَا لَا صَحَّةَ لَهُ، بَلْ هَذَا مَا يُقْطَعُ بِكَذِبِهِ؛ لِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ كَانَ شَدِيدَ التَّحْرِيَّ فِي الاتِّبَاعِ وَالْبُعْدِ عَنِ الابْتِدَاعِ.. وَلَكِنْ لِجَلَالِهِ وَإِمَامَتِهِ فِي الدِّينِ، وَكُونِهِ مَرْضِيًّا عَنِ الْمُوَافِقِ وَالْمُخَالِفِ، وَحُجَّةً فِيمَا يَفْعَلُهُ لِسُعْةِ اطْلَاعِهِ وَاتِّبَاعِهِ لِلْسُّنْنَ؛ كَثِيرًا مَا يُرُوْجُ بَعْضَ الْمُبَتَدِعِينَ بِدِعْمِهِمْ بِنَسْبَتِهِ إِلَيْهِ، أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُقْتَدِيِّ بِهِمْ).

قلت: وفي كلام الذهبي هذا كثيرٌ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ لِعِقِيدَةِ أَهْلِ السُّنْنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وهذه من المسائل التي نصَّ الذهبي على أنه يُخالف فيها شيخ الإسلام ابن تيمية!! فقد قال في ترجمته لابن تيمية: (مع أنَّي مُخالَفُ لَهُ فِي مَسَائِلِ أَصْلِيهِ وَفَرْعَوْنِي!! فَهَذِهِ بَعْضُ مَسَائِلِ الْأَصْوَلِ الَّتِي خَالَفَهُ فِيهَا، وَكَذَلِكَ مَا سِيَّاطِي).

قال ابن تيمية في «جامع المسائل» (المجموعة الثالثة / ص ٤٥): (وكذلك التمسح بالقبور كاستلامها باليد، وتقبيلها بالغم - منهِي عنده باتفاق المسلمين. حتى إنهم قالوا فيمن زار قبر النبي ﷺ: إنه لا يستلمه بيده، ولا يقبله بفمه). وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٧/١٣٦).

=
وقال في «الصراط المستقيم» (٢/٧٢٠): (ولم يرخصوا في التمسح بقبره).

- ٢ - قول الذهبي: إن الدُّعاء عند قبور الأولياء والصالحين مُستجاب!!
- فقال في «السير» (٣٤٣/٩) معلقاً على قول بعضهم: (قبر معروف [يعني: الكرخي] الترياق المجرب). قال: (يريد إجابة دعاء المضطر عنده؛ لأن البقاء المباركة يُستجاب عندها الدُّعاء..).
- وقال ترجمة نفيسة بنت الحسن (١٠٧/١٠): (والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين، وفي المساجد، وعرفة، ومزدلفة، وفي السفر المباح، وفي الصلاة..) إلخ.
- وقال في (٧٧/١٧): (والدُّعاء مُستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء، وفي سائر البقاع..).
- وفي ترجمة ابن فورك الأشعري (٢١٥/١٧) قال: (قال عبد الغافر في «سياق التاريخ»: الاستاذ أبو بكر قبره بالحيرة يُستسقى به). قلت: هذا من الشرك، ولم يتعقبه بشيء!!
- ٣ - تعقبه لكتاب أئمة السلف وأهل السنة فيما اتفقوا على القول به، والإنكار على من خالفهم فيها. ومن أمثلة ذلك:
- أ) إنكاره عليهم زيادة لفظة: (بذاته) في الثرول والمجيء وغيرها.
- قال (٢٣١/٢٠): (وقوله: **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾** [الثغر: ٢٢] ونحوه، فنقول: جاء، وينزل، وننهي عن القول: (ينزل بذاته)، كما لا نقول: (ينزل بعلمه)، بل نسكت، ولا نتفاصل على الرسول ﷺ بعبارات مُبتدعة).
- وقد تقدم (ص ١٢١) كلام الشيخ عبد الطيف آل الشيخ رحمه الله في هذه المسألة.
- ب) إنكاره على أئمة أهل السنة إثباتهم الحد لله تعالى، واعتبار ذلك من فضول الكلام المنهي عنه، وأن من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.
- قال (٨٦/٢٠): (الصواب الكف عن إطلاق ذلك، إذ لم يأت فيه نص، ولو فرضنا أن المعنى صحيح.. الخ. وانظر (١٦/٨٧)).
- قلت: بل الصواب فيه مع أئمة أهل السنة، وقد ذكرتهم بأسمائهم (ص ١٢٢، ١٢١).
- ٤ - لينه ومدحه لأئمة أهل البدع في تراجمهم لهم. ومن ذلك:
- أ) قال (٣٠١/٨) في ترجمة (عبد الوارث بن سعيد): (وكان عالماً مُجوداً، من فصحاء أهل زمانه، ومن أهل الدين والورع، إلا أنه قدري مُبتدع!!).
- قلت: كيف يجتمع الدين والورع مع نفي علم الله تعالى؟!
- ب) وقال في ترجمة عمرو بن عبد القديري الذي لعن الإمام مالك رحمه الله، وكفره الإمام أحمد رحمه الله وغيره من أئمة السنة، قال (٦/١٠٤): (الزاهد العابد القديري).
- ج) وقال في (٥٧٦/١٥): ابن أبي دارم الإمام، الحافظ، الفاضل.. الشميمي، الكوفي، الشيعي!!!.. كان موصوفاً بالحفظ، والمعرفة، إلا أنه يترافق، قد ألف في الحط على بعض الصحابة!! وهو مع ذلك ليس بثقة في النقل!!
- قلت: ومع ذلك وصفه بالإمامية، والفضل، والمعرفة!!

خ) قال في (٥٨٩/١٧) في ترجمة (علي بن حسين بن موسى): (المرتضى العلامة الشّريف المرتضى، نقيب العلوية، كان من الأذكياء الأولياء، المتبحّرين في الكلام والاعتزال، والأدب والشعر؛ لكنه إمامي جلد. نسأل الله العفو).
قلت: ومع ذلك وصفه بأنه من الأولياء الأذكياء !!

د) وقال في (١٦٠/٢١) وهو يتكلم عن صاحب الطريقة الرفاعية: (الرفاعي الإمام، القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين) !!

ح) وقال في (٥٣٩/١٩): (ابن تومرت الشّيخ، الإمام، الفقيه، الأصولي، الزاهد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربرى المصمودي الهرغى، الخارج بالغرب، المدعى أنه علوى حسنى، وأنه الإمام المعصوم المهدي.. ذا هيبة ووقار، وجلاة، ومعاملة، وتاله، انتفع به خلق، واهتدوا في الجملة، وملكوا المدائن، وقهروا الملوك..).
قلت: أطال في ترجمته، وذكر فيها كثيراً من مخازية التي تتنافى أن يصفه معها بأنه: (الشّيخ)، (الإمام) (الزاهد) (ذا هيبة وتاله)، انتفع به خلق !! إلى آخر تلك المدائن..

ثم قارن بين هذه الترجمة وبين ترجمة ابن القيم لهذا الرجل حتى ترى الفارق.

قال ابن القيم رحمه الله في «المنار المنيف» (ص ١٥٣): (أما مهدي المغاربة: محمد بن تومرت؛ فإنه رجل كاذب، ظالم، متغلب بالباطل، ملك بالظلم والتغلب والتحليل، فقتل النفس، وأباح حريم المسلمين، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وكان شرّا على الملة من الحاج بن يوسف بكثير، وكان يوعد بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء يأمرهم أن يقولوا للناس: إنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ! ثم يردم عليهم ليلاً لئلا يكذبواه بعد ذلك، وسمى أصحابه الجهمية: (الموحدين) نفأة صفات الرب، وكلامه، وعلوه على خلقه، واستوائه على عرشه، ورؤيه المؤمنين له بالأبصار يوم القيمة، واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان وتسمى بالمهدي المعصوم).

ك) وقال في (٣٢٢/١٩): (الغزالى الشّيخ، الإمام البحر، حجّة الإسلام، أعيوبة الزمان..)
ثم قال بعد هذا الثناء العاطر: (..لم يكن له علم بالآثار!! ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل!! وحبيبه إدمان النظر في كتاب: «رسائل إخوان الصفا»!!، وهو داء عضال، وجرب مرض، وسم قتال، ولو لا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين، لتلف !!!)

ثم سرد كثيراً من أقواله الكفرية التي أخذت عليه، ثم قال الذهبي: (الغزالى إمام كبير، وما من شرط العالم أنه لا يخطيء) !!

قلت: وهل من شرط العالم أن لا يكفر، ولا يبتعد، ولو وقع في الكفر والبدعة، فمن أين له هذه العصمة؟ وانظر إلى موقف السلف من أئمة أهل البدع الذين كفروهم وبدعوهم تجد كثيراً منهم قد كانوا من أهل العلم؛ ولكنهم لما خالفوا السنة والاعتقاد سقطوا ولم يبالوا بهم.

والعجب من هذا كله: أن يعده من المجددين للدين في القرن الخامس الهجري !! كما في

«السير» (٢٠٣/١٤)، فهل يكون من المجددين مع قوله فيه: (لم يكن له علم بالأثار، ولا خبرة بالسنن النبوية، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب: «رسائل إخوان الصفا».. إلخ). قلت: قد كان ابن تيمية بعد الغزالى في كثير من كتبه جاهلاً بأثار السلف، ليس له معرفة ولا تمييز بين الحديث الصحيح من الحديث الواهي المكذوب، وكتب الغزالى أصدق شاهد على ذلك؛ فإن فيها العجائب، وهو يعد في علم حديث النبي ﷺ من العوام.

انظر: «مجموع الفتاوى» (٧١/٤)، وانظر في هذا الكتاب (ص ١٧٦ و٢٤٥ و٢٩٨). وقد تعقب الشيخ سليمان بن حمدان السيوطي في جعله للغزالى مجددًا، فقال: (وقد خلط السيوطي في نظمه كعادته في التخليل في كلامه، فإن بعض من ذكرهم قد أحدثوا في الدين أصولاً مبتدةعة تنافي الدين فضلاً عن أن يكونوا مجددين.. فالغزالى خاض مع الفلاسفة، وألف كتابه: «تهاافت الفلسفه» في الرد عليهم؛ ولكنه وقع فيما وقعوا فيه، فلا للإسلام نصر، ولا لأعدائه كسر) [«مالحظاتي حال مطالعاتي» (ص ٤٦)]. وقال الذهبي عن «الإحياء»: (أما «الإحياء» ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لو لا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء، ومنحر في الصوفية، نسأل الله علمنا نافعاً..).

قلت: قارن بين قوله: (فيه خير كثير!!)، وبين قول الطرطوشى: (شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه، ثم شبكه بمذاهب الفلسفه، ومعاني «رسائل إخوان الصفا»، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق..).

ثم ذهب الطرطوشى إلى القول إحراق كتاب «الإحياء» حتى لا يتأثر أحد بسمومه، ولا يعتقد أحد صحة ما فيه من الضلال. انظر: «السير» (١٩/٣٣٤).

وقال عياض: (.. ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب، وفتوى الفقهاء بإحراقها، والبعد عنها، فامتثل ذلك..). «السير» (١٩/٣٢٧).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن فيمن قرأ على الناس كتاب «الإحياء»: (.. وأسمعتهم ما في «الإحياء» من التحريرات الجائرة، والتآويلات الضالة الخاسرة، والشقاشق التي اشتغلت على الداء الدفين، والفلسفة في أصل الدين.. وقد سلك في «الإحياء» طريق الفلسفه والمتكلمين في كثير من مباحث الإلهيات وأصول الدين، وكسا الفلسفة لحاء الشريعة.. بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنن، وسموها كثيراً منهم: إمامة علوم الدين...). إلخ.

ط) وقال (٤٢٦/١٥): (الكرخي الشيخ، الإمام، الزاهد، مفتى العراق، شيخ الحنفية!.. وكان من العلماء، العباد.. ووقع في النفوس، ومن كبار تلامذته أبو بكر الرازي! وكان رأساً في الاعتراف الله يسامحه!).

هـ) وقال الذهبي في (١٥١/٢٠): (الزمخري، العلامة، كبير المعتزلة.. وكان داعية إلى الاعتراف، الله يسامحه).

قلت: كذا وصفه بالعلامة، ثم دعا الله له بأن يسامحه على اعتزاله، وتعديه على الله تعالى بإنكار صفاته، والقول بخلق القرآن وغيرها من ضلالاته.

ثم قارن بين هذا الدعاء، وبين قوله في أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه: قال في (١٣٣/٣): (غيره من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيراً منه بكثير، وأفضل، وأصلح، فهذا الرجل ساد، وساد العالم بكمال عقليه... وله خئالت، وأمور، والله الموعود)!! وليته تلطف مع هذا الصحابي الجليل، وقال: (الله يسامحه) كما قال في الرمخشري إمام المعتزلة!

و) وقال (١٧٦/١٨): (ثابت بن أسلم، العلامة أبو الحسن الحلبي، فقيه الشيعة .. فرجم الله هذا المبتدع الذي ذبَّ عن الملة ، والأمر لله).

قال ابن تيمية في «المنهج» (٩٣/٢): (وهذه كتب المسلمين التي ذكر فيها زهاد الأمة ليس فيهم رافضي، وهولاء المعروفون في الأمة يقول الحق وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ليس فيهم رافضي، كيف والرافضي من جنس المنافقين مذهبة التقى).

قلت: ولم يرض السُّبُكِي الصُّوفِيُّ الأشعْرِيُّ هذَا الْمَنْهَاجُ مِنْ شِيَخِهِ الْذَّهَبِيِّ فِي جَمْعِهِ بَيْنِ مِنْ رِمَاهِمْ بِالْبَدْعَةِ بِأَنَّهُ صَاحِبَ دِينٍ وَوَرَعٍ ! كَمَا فِي تَرْجِمَةِ ابْنِ فُورَكَ الْأَشْعَرِيِّ فِي «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ» (٤/١٣٣) فقد قال: (قال شيخنا الذهبي : كان ابن فورك رجلاً صالحًا.

ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ مَعَ دِينِهِ صَاحِبَ فَلْتَةً وَبَدْعَةً . قال السُّبُكِيُّ : وَأَمَا قَوْلُ الْذَّهَبِيِّ : (إِنَّهُ مَعَ دِينِهِ صَاحِبُ فَلْتَةٍ وَبَدْعَةٍ) فَكَلَامٌ مُتَهَافٌ ؛ فَإِنَّهُ يَشَهِّدُ بِالصَّالِحِ وَالَّذِينَ لَمْ يَقُولُوا عَلَيْهِ بِالْبَدْعَةِ ! ثُمَّ لَيْتَ شَعْرِيَّ ، مَا الَّذِي يَعْنِي بِالْفَلْتَةِ ؟ إِنَّهُ كَانَتْ قِيَامَهُ فِي الْحَقِّ كَمَا نَعْتَقِدُ نَحْنُ فِيهِ ؛ فَتَلْكُ مِنَ الدِّينِ ، وَإِنْ كَانَتْ فِي الْبَاطِلِ فَهُنَّ تُنَافِيَ الدِّينِ).

قلت: ومع مدحه لأئمة أهل البدع كان يغمز أئمة أهل السنة في شدتهم لمن وقع ببدعة. ففي ترجمة علي بن الجعد (٤٦٥/١٠): (قال العقيلي: قلت لعبد الله بن أحمد: لم تكتب عن علي بن الجعد؟ قال: نهاني أبي أن أذهب إليه، وكان يبلغه عنه أنه يتناول الصحابة.

وقال فيه مسلم: هو ثقة، لكنه جهمي. وقلت: ولهذا منع أحمد بن حنبل ولديه من السماع منه. وقد كان طائفة من المحدثين يتنتطعون في من له هفوة صغيرة تخالف السنة، وإنما فعله إمام كبير حجة).

قلت: فهل من وصف بالجهمية، أو بالطعن في أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقال فيه: (له هفوة صغيرة)؟! بل ويوصف من حذر من الأخذ عنه بأنه متنطع !!

قلت: ولم يقتصر الأمر على الثناء على أئمة أهل البدع، والدعاء منهم؛ بل تعدى إلى الثناء على أهل الغناء والرقص.

ر) فقال (١٨٧/١٠) في ترجمة: (علية بنت المهدى) وأخت الرشيد.. (العباسية، أدبية،

= شاعرة، عارفة بالغناء والموسيقى !! رخيصة الصوت !! ذات عِفَةٍ!! وتقوى!! ومناقب).

قلت: كيف تجتمع التقوى والغفوة مع الغناء والمودسي؟!

٥- التوسيع في اعتبار كثيرون من طعون أهل السنة في مخالفتهم في الاعتقاد أنه من باب الطعن في الأقران الذي يطوي ولا يُقرأ.

ومن أمثلة ذلك: طعن الإمام أحمد في هشام بن عمار لما تكلم في مسألة اللفظ، وقال: (اللفظ جبريل ومحمد بالقرآن مخلوق). فقال أحمد: (أعرفه طياشاً، قاتله الله..). وقال: هذا قد تجهم.

وأنكر عليه أَحْمَد رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ كَذَلِكَ قَوْلَهُ كَذَلِكَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَلَّ لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ). فَقَالَ: (هَذَا جَهْمِيٌّ، اللَّهُ تَجَلَّ لِلْجَبَالِ)، وَهُوَ يَقُولُ: تَجَلَّ لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ! إِنْ صَلَوْا خَلْفَهُ فَلَيُعِيدُوهَا الصَّلَاةَ).

فقال الذهبي في «الميزان» (٤ / ٣٠٤) معلقاً على ما وقع بين الإمام أحمد وهشام بن عمار: (.. وما زال العلماء الأقران يتكلّم بعضهم في بعض بحسب اجتهادهم، وكل أحد يُخذ من قوله ويتَكَبَّرُ إلَّا رسول الله ﷺ).

ومن ذلك قوله كذلك (٤٦٢/١٧): (قد كان أبو عبد الله بن منده يقذع في المقال في أبي نعيم لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن [يعني: الأشعرية]، ونال أبو نعيم أيضاً من أبي عبد الله في تاريخه، وقد عُرِفَ وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض).

وعلى ذلك سار في كثير من ترافق أهل البدع الذين تكلم فيهم أهل السنة من أجل بدعهم الاعتقادية، فاعتبره من كلام الأقران الذي يُطوى ولا يقرأ !!

٦- تهويته مِنْ شَأْنِ الإِرْجَاءِ وَالْمَرْجِئَةِ، واعتبار أن الخلاف بينهم وبين أهل السنة خلافاً لفظياً فقط !!

فقال (٥/٢٣٣): (إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدون الصلاة والرِّكَّة من الإيمان، ويقولون: الإيمان إقرار باللسان، ويقين في القلب، والنزاع على هذا لغظي إن شاء الله).

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في تعليقه على «شرح الطحاوية»: (وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة، وليس الخلاف بينهم وبين أهل السنة فيه لفظياً؛ بل هو لفظي ومعنى، ويترتب عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبر كلام أهل السنة وكلام المرجئة، والله المستعان).

ومن تهويته كذلك من بدعة الإرجاء والمرجئة: مطالبته بترك التحامل على المرجئة، وترك تبديعهم، والتحذير منهم؛ لأن بعض من انتسب إلى العلم كان منهم، فهو يقول معلقاً على قول السليماني: (كان من المرجئة: مسغر، وحماد بن أبي سليمان، والتعمان، وعمرو بن مرة، وعبد العزيز بن أبي رواد، وأبو معاوية، وعمرو بن ذر... وسرد جماعة). قال الذهبي في «الميزان» (٤/٩٩): (ولا عيرة بقول السليماني.. شم ذكره، وقال:

(الارجاء مذهب لعدة من جلة العلماء لا ينبغي التحامل على قائله)!!

قلت: كيف وقد أجمع السلف على ذم الإرجاء والمرجئة، وحدّرها منهم، ومن مجالستهم، واعتبروا الإرجاء بدعة من أصول البدع؛ والتي هي: (الإرجاء، والخروج، والقدر، والشيعة).

قال الآجري في «الشريعة» (٦٧٦/٢): (باب في المرجئة، وسوء مذاهبهم عند العلماء). وذكر فيه إجماع السلف في ذمهم، ومن ذلك قول الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضرَّ على أهله من هذه. يعني: الإرجاء.

وقول النخعي: المرجئة أخوف عندي على الإسلام من عدتهم من الأزارة. يعني: الخوارج.

وقد عقد أئمة أهل السنة في مصنفاتهم في الاعتقاد الأبواب الكثيرة في ذم الإرجاء، والتحذير منه، ومن أثمنهم.

قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥٠٧/٧) وهو يتكلم عن أئمة المرجئة: (السلف والأئمة اشتَدَّ إنكارهم على هؤلاء، وتبعيدهم، وتغليظ القول فيهم).

قلت: هذه التنبِّهات على بعض ما في «سير أعلام النبلاء»! وغيرها من مصنفات الذهبي من الأخطاء التي تَبَهُ عليها أهل العلم، ومن هذه الأخطاء وغيرها يتبيَّن سبب قول الشيخ ابن باز رَحْمَةُ اللَّهِ لِمَا سُئِلَ عنه فقال فيه: (الذهبي ليس من أهل الفقه، الذهبي ماهو من أهل البصيرة، الذهبي عالم من علماء الوسط، يعني بمصطلح الحديث فقط، لا يعتمد به في الشريعة). [«شريط الدمعة البارزة» آخر الوجه الثاني].

وهناك الكثير من أقوال الذهبي تحتاج إلى بسط وتعليق، ليس هنا مكان بسطها. والله أعلم.

